

محاضرة: الإعلام الرقمي وتحولات المجتمع والأسرة

مقدمة: من "المتلقي" إلى "المشارك"

في الإعلام التقليدي (تلفاز، صحف)، كان الفرد مستهلكاً سلبياً. أما في الإعلام الرقمي، أصبح الفرد صانع محتوى، وناقداً، وموزعاً. هذا التحول الجذري أعاد تشكيل "العقد الاجتماعي" داخل الأسرة الواحدة وبين أفراد المجتمع.

المحور الأول: تأثير الإعلام الرقمي على البناء الأسري

الأسرة هي الخلية الأولى التي تأثرت بالرقمية، ويمكن رصد ذلك من خلال:

1. العزلة الاجتماعية داخل البيت الواحد (الخلوة الرقمية):

- المفهوم: ظاهرة "الغربة تحت سقف واحد"، حيث يجلس أفراد الأسرة في مكان واحد لكن كل منهم يعيش في عالمه الافتراضي الخاص.
- مثال: مشهد العشاء العائلي حيث ينشغل الأب بريدته الإلكترونية، والأم بمتابعة "سنابات" المشاهير، والأبناء بألعاب الفيديو أو "تيك توك"، مما يقتل الحوار المباشر.

2. تراجع السلطة الوالدية وفجوة الأجيال:

- سابقاً، كان الأب والأم هما المصدر الرئيسي للمعلومة والقيم. اليوم، أصبح "جوجل" و"المؤثرون" هم المرجعية، مما خلق فجوة معرفية وتقنية تجعل الأبناء يشعرون بتفوقهم التقني على آبائهم.

3. اختراق الخصوصية الأسرية:

- تحول البيت من مكان خاص إلى "استوديو" مفتوح.
- مثال: قيام بعض الآباء بعرض تفاصيل حياة أطفالهم اليومية (Sharenting) من أجل "اللايكات" والمشاهدات، مما ينتهك حقوق الطفل ويؤثر على نموه النفسي.

المحور الثاني: قضايا المجتمع في العصر الرقمي

على مستوى المجتمع الكبير، طرح الإعلام الرقمي قضايا جدلية لم تكن موجودة سابقاً:

1. تشكيل الرأي العام والوعي الجمعي:

- تساهم المنصات في حشد الناس حول قضايا معينة (إنسانية، سياسية، بيئية).
- المشكلة: "غرف الصدى" (Echo Chambers)، حيث لا يرى المستخدم إلا الآراء التي تشبه رأيه بسبب خوارزميات المنصات، مما يزيد من حدة الاستقطاب المجتمعي.

2. ثقافة الاستهلاك والمظاهر الكاذبة:

- يروج الإعلام الرقمي لحياة مثالية "فلترية" غير واقعية.
- مثال: مقارنة الفرد لحياته الواقعية (البسيطة) بحياة المشاهير المصطنعة، مما يؤدي إلى الشعور بـ "الحرمان النسبي" والضغط الاجتماعي.

3. الشائعات والأخبار الزائفة: (Fake News)

- سرعة الانتشار تفوق سرعة التصحيح. شائعة واحدة قد تسبب ذعراً مجتمعياً أو تدميراً لسمعة عائلة أو مؤسسة في دقائق.

المحور الثالث: التحديات النفسية والسلوكية

- الإدمان الرقمي: تفعيل نظام "الدوبامين" في الدماغ عبر الإشعارات، مما يجعل الفرد في حالة قلق دائم إذا ابتعد عن هاتفه.
- التنمر الإلكتروني: أصبح المجتمع يعاني من ظاهرة النقد الجارح والتشهير، والتي قد تؤدي في حالات الأسرة الهشة إلى الاكتئاب أو الانتحار لدى المراهقين.

المحور الرابع: المقاربات والحلول (نحو استخدام واعي)

لا يمكننا إلغاء التكنولوجيا، ولكن يمكننا "أنسنتها" من خلال:

1. التربية الإعلامية الرقمية: تعليم الأبناء كيفية نقد المحتوى والتفريق بين الحقيقة والتزييف، وليس فقط كيفية استخدام الجهاز.

2. الاتفاقيات الأسرية: تحديد "مناطق خالية من التكنولوجيا" (مثل طاولة الطعام، أو ساعة قبل النوم).

3. القدوة الرقمية: لا يمكن للأب أن يطلب من ابنه ترك الهاتف وهو لا يتركه.

4. تعزيز الذكاء العاطفي: العودة للأنشطة الحركية والاجتماعية التي تتطلب تفاعلاً وجهاً لوجه لترميم ما أفسدته الشاشات.

إن الإعلام الرقمي سلاح ذو حدين؛ فهو وسيلة لصلة الرحم عبر المسافات ونشر العلم، لكنه أيضاً قد يكون معولاً لهدم الروابط الأسرية إذا غاب الوعي. التحدي الحقيقي ليس في "التقنية" بل في "القيم" التي نحملها ونحن نستخدم هذه التقنية.